فضائل الأمة الإسلامية

في الدنيا والآخرة

تأليف

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عبد الله العبادي



دار البشائر الإسلامية


فضائل الأمة الإسلامية
في الدنيا والآخرة

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع هاتف: ٧٠٢٨٥٧ - فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
e-mail:
bashaer@cyberia.net.lb



فضائل الأمة الإسلامية

في الدنيا والآخرة

تأليف

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عبد الله العبادي

دار البشائر الإسلامية



المقـــدّمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، والصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين، وآله، وصحابته أجمعين إلى يوم الدِّين.

وبعد، فقد تناولنا في مؤلَّفنا (الخصائص الإسلامية) الخصائص التي امتنَّ بها الخالق على هذه الأمة دون غيرها من الأمم السابقة، وما توحي إليه تلك الخصائص من أهداف، وتحقق من غايات في الدنيا، والآخرة.

وفي هذه الرسالة، سنتناول الفضائل التي خصَّ الله بها هذه الأمة في الدنيا والآخرة، وانفردت بها دون غيرها من الأمم.

ولا شك أنَّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه، هو سيِّد الخلق، وأفضلهم في الدنيا، والآخرة؛ لقوله ﷺ:

«أنا سيِّد ولد آدم، ولا فخر»[1]، وقوله ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: «أنا سيِّد الناس يوم القيامة»[2].

وإذا كان ﷺ هو سيِّد الخلق، وأفضلهم في الدنيا والآخرة، فإن أمَّته كذلك هي سيِّدة الأُمم، وأفضلها في الدنيا والآخرة، وتتَّضح هذه السِّيادة، وهذه الأفضلية كذلك بما سنذكره في هذه الرسالة.

وتشتمل هذه الرسالة على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: فيما اختصَّت به من فضائل في هذه الدنيا.

المبحث الثاني: فضائل أخرى اختصَّت بها في هذه الدنيا.

المبحث الثالث: فضائل اختصَّت بها يوم القيامة.

وباللّٰه التوفيق، وهو المستعان.

الدكتور عبد الله عبد الرحيم عبد الله العبّادي

٩/٤/١٤٢٣هـ

٢٠/٦/٢٠٠٢م

---

(١) رواه مسلم، وغيره.

(٢) متفق عليه.

تمهيد

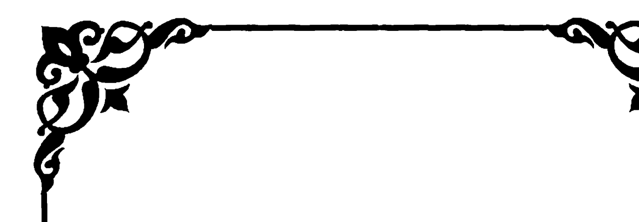
تعريف الفضيلة:

جاء في لسان العرب: «الفضيلة: الدرجة الرفيعة في الفضل. والفاضلة: الاسم من ذلك. والفضال، والتفاضل: التمازي في الفضل. وفضَّله: مزَّاه. والتفاضل بين القوم: أن يكون بعضهم أفضل من بعض».

وجاء في لسان العرب: «فضَّله على غيره: جعله، أو عدَّه أفضل منه».

إذن، **فمعنى فضائل هذه الأمة**: مزاياها على غيرها من الأمم، وتفضيلها على غيرها من سائر الأمم؛ بما خصَّها الله تعالى من الفضائل في الدنيا، والآخرة.





المبحث الأول

الفضائل العامَّة

ويشتمل على :

* الفضيلة الأولى : الخيرية .
* الفضيلة الثانية : الوسطية .
* الفضيلة الثالثة : اليسر ، وعدم العسر ، وحطّ الأغلال عنها .

الفضيلة الأولى

الخيرية

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1].

هذه الأمة نالت هذه الفضيلة (الخيرية من بين الأمم) لثلاثة أسباب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإِيمان بالله. فإذا فقدت الأمة تلك الميزات، فإنها لا تستحق تلك الفضيلة.

ولا شك أن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من أهم مكارم الأخلاق، وفي مقدمتها، بعد الإِيمان بالله تعالى، وهما أمران لا يقدر على تنفيذهما إلاَّ من رزقه الله إيماناً قويًّا، لا يزعزعه شيء، لذلك قُدِّما على

(١) آل عمران: آية ١١٠.

الإِيمان بالله نفسه، وما ذلك إلاَّ لصعوبتهما، ولأهميتهما في المجتمع.

لأنَّ مواجهة الناس ــ بما يفعلون، ومراقبتهم، وتصحيح أخطائهم ــ ونقدهم باستمرار ــ بتعديل أوضاعهم الاجتماعية ــ شيء صعب للغاية، وأمر عظيم ليس بالسهل، ويحتاج إلى صبر عظيم، وجهد متواصل من الآمر، والناهي، ليقوم بتلك المسؤولية على أتمّ وجه، وأكمله.

لذلك فإنَّ اليهود عليهم لعنة الله، لم يقدروا على تنفيذه، ولم يستطيعوا المداومة عليه، فاستحقوا بذلك اللعنة والغضب من الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾[1].

لذلك جاء الأمر الصارم منه ﷺ في هذا الصدد بقوله: «من رأى منكم منكراً، فليغيِّره بيده، ومن لم يستطع فبلسانه، ومن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف

---

(١) المائدة: آيتان ٧٨ ــ ٧٩.

الإيمـان»[1]، ومـا ذلـك إلاَّ لصعـوبتـه، وأهميتـه فـي المجتمع.

وقد اختلف العلماء في هذه الخيرية لمن تكون؟

فقيـل: إنهـا نـزلـت فـي الـذيـن هـاجـروا مـع رسول الله ﷺ. وهو قول ابن عباس، رضي الله عنهما.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من فعل فعلهم، كان مثلهم.

وقال الحسن بن أبـي الحسن، وجماعة من أهل العلم: معنى الآية خطاب الأمة بأنهم خير أُمَّة أُخرِجت للناس.

ويؤيِّد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ ﴾[2]، أي: الـصـالحيـن منهم.

وقد روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في قوله تعالى:

---

(١) رواه مسلم والأربعة، وأحمد.

(٢) البقرة: آية ١٤٣.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ قال: «أنتم تُتِمُّون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله».

وفي لفظ: «أنتم أفخرها، وأكرمها على الله عزَّ وجلّ»[1].

قال ابن عطية: «هذه الخيرية التي فرضها الله تعالى لهذه الأمة، إنما يأخذ بحظّه منها من عمل هذه الشروط من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر»[2].

وهذا ما نؤيده، أي أنَّ هذه الأمة الصالحة موجودة في كل زمان، ومكان.

وممَّا يقوِّي ذلك قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون»[3].

وفي لفظ: «لا تزال طائفة من أُمَّتي قوَّامة على أمر الله، لا يضرّها من خالفها»[4].

---

(١) رواه أحمد، والترمذي وحسَّنه، والحاكم وصحَّحه، وابن ماجه، والدارمي.

(٢) انظر: تفسير ابن عطية ٣/ ٢٦٥، والقرطبي ٤/ ٢٧١.

(٣) متَّفق عليه.

(٤) رواه الحاكم وصحَّحه.

فهـذه الطـائفـة، هـي (الخيـريـة)، وهـم الآمـرون بالمعروف، الناهون عن المنكر، وهم موجودون في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

والهدف من ذكر هذه (الخيرية): هو تذكير الأمة بهذه الفضيلة وحث المسلمين في كل زمان ومكان على الاستمرارية، والمداومة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليكون المجتمع الإسلامي مجتمعاً سليماً معافى من الأمراض الاجتماعية، وهي الغاية التي يرمي إليها الشرع الحكيم.

وقد جاء في الحديث ما يدل على الاستمرارية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنَّ ذلك واجب علـى كـل مسلـم، وهـو الحـديـث الـذي رواه حـذيفـة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ بقوله: «والذي نفسي بيـده، لتـأمـرن بـالمعـروف، ولتنهـون عـن المنكـر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تدعون، فلا يُستجاب لكم»[1].

فهـذا تحذيـر منـه ﷺ لأمتـه مـن عدم القيـام بهذه

---

(١) رواه الترمذي.

المسؤولية وتركها، كما فعل بنو إسرائيل فاستحقوا العقاب.

ومن هنا جاء قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ بصيغة الماضي، ليدل على الاستمرارية، والمداومة عليه في كل زمان ومكان. والله أعلم.



الفضيلة الثانية

الـوسـطيـة

* تمهيد:

١ ـ وسط في العقيدة.

٢ ـ وسط في الأخلاق.

٣ ـ وسط في العبادات.

٤ ـ وسط في التشريع.

٥ ـ وسط في شؤون الأُسرة.

٦ ـ وسط بين الانحيازيين إلى الفرد وترك الجماعة، والانحيازيين إلى الجماعة وترك الفرد.

٧ ـ التوازن بين الروحية، والمادية.

* * *

تمهيد في الوسطية[1]

أولاً: معنى الوسطية:

الوسطية تعني الوسط من كل شيء.

وبهذا المعنى جاءت الآية الكريمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2].

قال القرطبي: «إنَّ أحمد الأشياء وسطها».

ولمّا كان الوسط مجانباً للغلوّ، والتقصير فيه، كان محموداً.

إنَّ الله تعالى قد قبل شهادة الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم السابقة، وهذا يعني عدالة هذه الأمة؛ لأنَّ الله لا يقبل الشهادة إلاَّ من عادل، وهذه شهادة من أعدل العادلين بهذه الأمة.

وهذه الفضيلة لا توجد في دين من الأديان.

ووسطية هذه الأمة تعني وسطية منهجها،

---

(١) انظر مؤلفنا: «الخصائص الإسلامية».

(٢) البقرة: آية ١٤٣.

ونظامها؛ فهو منهجٌ لأمة وسط، وهو منهجُ الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير.

ثانياً: ميزات الوسطية:

تمتاز الوسطية بما يلي:

١ ـ **الوسطية: تعني القوَّة؛** فالوسط من كل شيء هو مركز قوته ومتانته: فالشباب مركز قوَّة الإنسان بين ضعف الطفولة وضعف الشيخوخة، والشمس في وسط النهار أقوى في الضوء من أوله وآخره، والقمر في وسط الشهر أقوى نوراً من أوَّل الشهر وآخره، والعصا مركز قوتها وسطها.

٢ ـ **الوسطية: تعني الأمان التام، والبعد عن الخطر؛** لأنَّ الأطراف غالباً ما تتعرَّض إلى التلف، والفساد، والتآكل.

٣ ـ **الوسطية: تعني مركز الوحدة؛** لأنها نقطة التلاقي.

٤ ـ **الوسطية: تعني الاستقامة على الصِّراط السَّويّ،** والسَّير على منهاجه.

٥ ــ الوسطية: تعني العدل، وهو تفسير الرسول صلوات الله وسلامه عليه للوسطية، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «أنَّ النبي ﷺ فسَّر الوسطية بالعدل»[١].

٦ ــ الوسطية: تعني الخيرية، فالخير مظهر الفضل، والتميُّز في الماديات، والمعنويات.

٧ ــ الوسطية: تتوافق وتتماشى مع الرسالة الخالدة.

* ومن هنا نعلم أنَّ الإسلام وسط في الاعتقاد، وسط في التصوُّر، وسط في التعبُّد، والتنسُّك، وسط في التشريع، والنظام، وسط في المعاملات، وسط في الآداب، والأخلاق..

١ـ الوسطية في الاعتقاد

١ ــ الإسلام وسط في الاعتقاد بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء بدون دليل، أو برهان.

وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس. فالفطرة، والعقل، والمعجزة ليس لها عندهم أيّ اعتبار.

---

(١) رواه أحمد.

* **أما الاعتقاد في الإسلام، فإنه يدعو إلى الإيمان** بما قام عليه الدليل القطعي، والبرهان اليقيني، ويرفض كل ما عدا ذلك من الأوهام، والخرافات، والأباطيل التي لا يقرّها ولا يصدّقها العقل، ولا يقرّها الشرع.

٢ ــ وسط بين الملاحدة الذين لا يعترفون بإله قط، ولا يستجيبون للفطرة، ولا يُحَكِّمون العقل.

وبين أولئك الذين عددوا الآلهة، فسجدوا للكواكب، والأصنام، والأوثان، والأبقار، بل تمسَّحوا بأبوالها يطلبون منها الخير والغفران.

* **أما الإسلام**، فإنه جاء يدعو إلى الإيمان بالخالق الواحد، لا شريك له، ولا ندّ، لم يلد، ولم يولد، وكل ما عداه مخلوقات له، لا تملك نفعاً، ولا ضرًّا، ولا حياة، ولا موتاً، ولا نشوراً، فلا تستحق العبادة؛ ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝٥﴾[1].

٣ ــ وسط بين الذين يقدِّسون الأنبياء، فيرفعونهم إلى درجة الألوهية، وهم النصارى الذين زعموا أنَّ المسيح ابن الله، تعالى الله عمَّا يقولون علوّاً كبيراً.

---

(١) الأحقاف: آية ٥.

وبين الذين كذَّبوهم، وأهانوهم، واتهموهم بشتى التُّهم، ونسبوا إليهم ما ليس فيهم.

* **أما في الإسلام**، فإنَّ الأنبياء بشر يأكلون الطعام، ويتغوَّطون، ويمشون في الأسواق، ولهم زوجات، وأولاد، لا فرق بينهم وبين البشر، والفارق بينهم وبين البشر أنَّ الله تعالى كرَّمهم بالوحي، وبالرسالة؛ ليكونوا مبشِّرين، ومنذرين للناس، وهم معصومون من المعاصي، واقتراف الذنوب.

٤ ــ وسط بين الذين يؤلِّهون الإنسان، ويجعلون له من الخصائص ما للإلٰه ــ تبارك وتعالى ــ وأنه إلٰهُ نفسه ويحكم ما يريد.

وبين الذين جعلوه أسير جبر دينية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، فهو كالريشة في مهب الريح يوجهها كيف يشاء.

* **أما في الإسلام**، فإن الانسان مخلوق مكلف مسؤول، وهو سيد الكون، وهو عبد الله وخليفته في أرضه قادر على تغيير نفسه، وتغيير ما حوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

٥ ــ وسط بين الذين يعتبرون الكون هو الوجود

---

(١) الرعد: آية ١١.

الحق وحده، وما عداه ممَّا لا تراه الأعين، ولا تلمسه الأيدي وهْم، وخرافة.

وبين الذين يعتبرون الكون وهماً، لا حقيقة له كالسراب في الصحراء.

* **أما الإِسلام**: فإنه يعتبر وجود الكون حقيقة لا شك فيه، ومن هذه الحقيقة يستدل على الحقيقة الأكبر منها، وهي وجود الخالق العظيم لهذا الكون، وهو المسيِّر له، وهو المنظم له، وهو المدبِّر له، كل شيء بأمره، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

٦ ــ وهو وسط بين الذين يؤمنون بالعقل وحده مصدراً للحقائق الوجودية.

وبين الذين لا يؤمنون إلَّا بالوحي، والإِلهام، ولا يعترفون ما للعقل من دورٍ في نفيٍ أو إثبات.

* **أما الإِسلام**، فيعترف بما للعقل من دور مهم في معرفة الحقائق الوجودية، ويدعوه للنظر، والتفكُّر،

---

(١) آل عمران: آية ١٩٠.

وينكـر عليـه الجمود، والتقليـد، ويعتمد عليه في إثبات وجود الله الخالق وصدق دعوى النبوَّة.

٢ـ الوسطية في الأخلاق

ونعني بالوسطية في الأخلاق الإسلامية:

١ ــ أنه وسط بين المغالين من المثاليين الذين أضفـوا علـى الإنسـان صفـة المـلاك: مـن وصفهـم لـه بالأخلاق، والقيم ما لا يحتملها.

وبين الغلاة من الواقعيين الذين جعلوه حيواناً، أو هو مثله، فنسبوا إليه من السلوك ما لا يليق بالإنسان. فكانت النظرة الأولى له خيراً محضاً، وكانت الثانية له شرًّا محضاً.

* **أما الإسلام**، فإنه جاء وسطاً بين النظرتين: فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مركب: فيه العقل، والشهوة، فيه غريزة الحيوان، وروحانية الملاك، عنده الاستعـداد للتقـوى، وعنـده الاستعـداد للفجـور؛ ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾[1]، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[2].

---

(١) الإنسان: آية ٣.

(٢) الشمس: آيتان ٧، ٨.

٢ ـ وهو وسطٌ بين من يرى أنَّ الإنسان روح علوي سُجن في جسد أرضي، ولا تصفو هذه الروح، ولا تسمو إلاَّ بالتعذيب للجسد وحرمانه من النِّعم، وهم البراهمة.

وبين من يعتبر الإنسان جسداً محضاً، أو مادِّيًا صرفاً، بعيداً عن الروح العلوي، ولا يختصّ بأي نعمة سماوية.

* أما في الإسلام، فهو مؤلف بين روح، ومادة، وكل منهما يحتاج إلى ما يسد حاجته، ويقوِّم اعوجاجه، وتوضح ذلك الآية الكريمة: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ۝٢٩﴾[1].

ففيه الروح الإلـٰهية من السماء، وفيه المادية من الأرض.

٣ـ الوسطية في العبادات

لو تتبعنا الفرائض والواجبات في الإسلام، لوجدنا أنَّ الإسلام جاء وسطاً بين تيّارين متناقضين:

بين الذين ألغوا الجانب «الرباني»، وهي العبادة،

---

(١) الحجر: آية ٢٩.

والتنسُّك، والتألُّه من تفكيرهم، واقتصرت فروضهم على الجانب الأخلاقي الإنساني البحت، كالبوذية، واليهود الذين لا تجد للروحانية أثراً عندهم، فلا تلمس أثراً للآخرة عندهم، وإنما كل همهم، وتعلقهم بأمور الدنيا فحسب، حتى الوعد والوعيد في التوراة عندهم، إنما يتعلقان بأمور دنيوية بحتة.

وبين الأديان التي غالت في العبادة، وطلبت من أتباعها الانقطاع للعبادة وحدها، والانصراف الكلي عن الحياة، كالرهبانية في المسيحية كما ذكر القرآن عنهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[1].

* **أما الإسلام**، فإنه جاء وسطاً، فطلب من المسلم الشعائر المحدودة في اليوم والليلة: كالصلاة، ومرة واحدة في السنة: كالصوم، ومرة واحدة في العمر: كالحج، ولم يحرمه من السعي في الأرض للعيش، وابتغاء الرزق، بل أوجبه عليه، إذا اقتضى الأمر ذلك، قال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾[2]، وذلك في الإسلام عبادة كذلك،

---

(١) الحديد: آية ٢٧.

(٢) الملك: آية ٢٧.

وتقوى لله إذا ابتغى من وراء ذلك طلب الحلال، والكدّ على العيال.

يزيد ذلك وضوحاً قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[1].

فهناك توازن في الإسلام بين الروحية التي لا بدَّ منها؛ لأنَّ الإنسان لا يستغني عنها، وبين المادية التي لا بدَّ منها، كذلك.

٤ـ الوسطية في التشريع

فهو وسط في التحليل والتحريم: بين اليهودية التي أسرفت في التحريم، وكثرت عندها المحرَّمات:

ممَّا حرَّمه إسرائيل على نفسه في قوله تعالى: ﴿ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾[2].

وممَّا حرمه الله تعالى عليهم جزاء لهم على بغيهم،

---

(١) الجمعة: آيتان ٩، ١٠.

(٢) القصص: آية ٧٧.

وظلمهم، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾(١).

وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة لدرجة أنها أحلت الأشياء المنصوص عليها بالتحريم في التوراة؛ لأنَّ المسيح لم يجيء لينقض ما في التوراة، بل جاء ليكملها.

* **أما الإسلام**، فإنه قد حرَّم وحلَّل بوحي من الله تعالى، وليس ذلك من حق البشر، ولم يحرِّم إلاَّ الخبيث منه، والضارّ بالصحة، وأحل كل طيب نافع، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾(٢).

٥ـ الوسطية في شؤون الأسرة

وجاء كذلك وسطاً في شؤون الأسرة.

١ ـ فهو وسط بين الذين شرَّعوا تعـدُّد الزوجات بلا قيد، ولا شرط.

---

(١) النساء: آية ١٦٠.

(٢) آل عمران: آية ٩٣.

وبين الذين منعوه منعاً باتّاً، ولو اقتضته ضرورة، أو مصلحة.

* **فالإسلام شرع التعدُّد بشروط**، وهي: القدرة على الإحصان، والإنفاق، والعدل بين الزوجات، وإلاَّ فواحدة ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[1].

٢ ـ كما أنه كذلك جاء **وسطاً في الطلاق بين الذين حرَّموه** أبد الدهر كالمسيحية.

وبين الذين أباحوه لأتفه الأسباب، ولم يتقيَّدوا بقيد، أو شرط، كما كان عند عرب الجاهلية.

* **لكن في الإسلام** أُبيح الطلاق لأسباب تقتضي ذلك، وعند الضرورة القصوى، حيث يستحيل الوفاق بين الزوجين، بل حذّر منه؛ لأنه أبغض الحلال عند الله، وأجازه مرة، ومرتين وثلاثاً، لكي يتيح الفرصة للمّ شمل الزوجين من جديد ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[2].

---

(١) النساء: آية ٣. انظر كتابنا: «المرأة ومكانتها في الإسلام».

(٢) البقرة: آية ٢٢٩. وانظر كتابنا: «المرأة ومكانتها في الإسلام».

٦ـ الوسطية بين الفردية والجماعية

الإِسلام وسط بين الانحيازيين إلى الفرد، وترك الجماعة، كالرأس مالية التي تقدِّس الفردية، فأعطت الفرد (الحرية الشخصية كاملة) بأن يمتلك، ولو على حساب الآخرين، فقد يؤول إليه المال بالحيل، والاحتكار، والربا، وظلم الآخرين، ثم ينفقه في شرب الخمور، واللهو، والعبث، والفجور، ويمنع ذلك عن المحتاجين، والمعوزين، من غير القادرين على الكسب.

وبين المذهب الاشتراكي الذين جعلوا المجتمع، هو غايتهم، وتركوا ما للفرد من حقوق شخصية، فليس للفرد أي قيمة تُذكر من حق التملُّك، أو التصرُّف في أمواله.

* لكن الإِسلام قد وازن بين الفرد، والجماعة، فلا يطغى الفرد على الجماعة، ولا تطغى الجماعة على الفرد، فهو فردية اجتماعية في آن واحد، لا يستغني الفرد عن الجماعة، ولا تستغني الجماعة عن الفرد.

أمثلة على توازن الإِسلام بين الفرد والجماعة:

فمن ذلك:

١ ــ **اعترف بالفرد،** فحرّم دمه، وماله، وعرضه

في قوله ﷺ: «إنَّ دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»(١).

٢ ــ صان حرمة البيت، فلا يجوز التجسُّس، ولا الدخول فيه بدون استئذان من صاحبه: ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾(٢).

٣ ــ جعل للفرد حرية الاعتقاد، فلا يكره أحداً على ترك دينه: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾(٣).

٤ ــ ترك للفرد حريته كاملة في النقد، فللفرد أن يعارض ما يراه غير سليم في المجتمع، وأن يقوّم اعوجاجه بأسلوب حكيم، وهو ما يسمَّى بـ :

(الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر).

٥ ــ أعطى الفرد الحرية الكاملة في أن يبحث،

---

(١) رواه مسلم من خطبته في حجة الوداع.

(٢) النور: آية ٢٧.

(٣) البقرة: آية ٢٥٦.

ويفكِّر، ويُبدي رأيه، فلا لوم عليه في ذلك، بل يُثاب على الخطأ، كما يُثاب على الصواب في تفكيره؛ لقوله ﷺ: «إذا أخطأ المجتهد فله أجر، وإذا أصاب فله أجران»[1].

٦ ـ كل فرد في المجتمع مسؤول عن نفسه، وعن عمله، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، فلا يتحمَّل وزر الآخرين: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨﴾[2]، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[3].

وهذا في الدنيا، والآخرة.

* **وكل ما تقدَّم، مما يراه الإسلام حقّاً للفرد، فهو مقيد بمصلحة الجماعة،** بحيث لا يلحق الضرر، والإيذاء بالآخرين، **فإذا اصطدمت تلك الحقوق بمصلحة الآخرين، فإنَّ حقوق الجماعة مقدَّمة على حقوق الفرد؛ لقوله ﷺ: «لا ضرر، ولا ضرار»[4].**

---

(١) متفق عليه.

(٢) المدثر: آية ٣٨.

(٣) الإسراء: آية ١٥.

(٤) رواه أحمد، وابن ماجه.

أمثلة على القيود التي وضعها الإسلام على الفرد لمصلحة الجماعة :

فمن ذلك :

(أ) إنَّ حياة الفرد التي أمر الإسلام بصيانتها، وعدم الاعتداء عليها، مقيَّدة، ومرهونة بمصلحة الجماعة، بحيث لا تكون على حساب الآخرين، فإذا اقتضت مصلحة الجماعة بذلها، وفناءها من أجل حماية المجتمع ككل من الاعتداءات، والشرور، فإنَّ الواجب يقضي حينئذ أن يضحِّي بتلك الحياة، ويقدمها راضية نفسه للعدالة للاقتصاص منها، لنشر الأمان، والطمأنينة في داخل المجتمع ؛ لأنَّ في ذلك حياة للمجتمع ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[1]، كقاتل العمد، وقاطع الطريق الذي يخيف الناس في أنفسهم، وفي أموالهم، والمرتدّ عن دينه المفارق للجماعة.

(ب) حق التملُّك للفرد مقيد بأن يأخذ المال من مصادر حلّه، وينفقه في محلّه الذي أمر الله به، فليست ملكية الفرد مطلقة، لكنها مقيَّدة بحدود الله، وحقوق المجتمع ؛ لأنَّ المال مال الله، وهو مستخلف فيه، فإذا

---

(١) البقرة: آية ١٧٩ .

أساء التصرُّف، فللمجتمع، أو ولي الأمر أن يأخذ على يده، ويمنعه من التصرُّف فيه.

(ج) وحريات الفرد، وحقوقه كلها مقيدة بمراعاة أخلاق المجتمع، وعقائده، ومُثله العليا، فإذا اصطدمت تلك الحريات، والحقوق بأخلاق المجتمع، وعقائده، ومثله العليا ـ كنشر الإباحية، والطعن في الدين، أو التشكُّك في القيم العليا ـ فإنَّ تلك الحريات، والحقوق، يوقفها الإسلام عند حدها؛ لأنها حتماً ستنال المجتمع، وتلحق به الضرر.

(د) وإذا كان الإسلام قد اهتمَّ بالفرد، وأعطاه حقوقه كاملة، فإنه قد حمَّله مسؤوليته تجاه المجتمع: فكل فرد مسؤول عن رعيته بإبداء النصح، والنصيحة لهم، كلٌّ في مجاله الذي اؤتُمِن عليه؛ لقوله ﷺ: «كلكم راع، ومسؤول عن رعيته...»[١]، «الدِّين النصيحة»[٢].

وهناك مسؤولية الفرد عن تغيير المنكر في المجتمع، وتقويم اعوجاجه إذا اعوجَّ؛ لقوله ﷺ: «من

---

(١) متفق عليه، وهذه خاصية من خصائص الإسلام. انظر مؤلفنا: «المسؤولية في الإسلام».

(٢) رواه البخاري في التاريخ والبزار.

رأى منكم منكراً فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

وهذه فضيلة، لا شك في ذلك، وأي فضيلة، وهي خاصة بهذه الأمة دون غيرها.

وقد مثّل لذلك عليه الصلاة والسلام بمثال من واقع البشر أنفسهم، لكي يقرب ذلك للأذهان، فتتقبَّله ولا تنفر منه، أو تعطله فلا تقوم بواجبها نحو المجتمع والفرد خير قيام؛ وذلك بقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنه: «مثل المُدْهن[2] في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرّ بالماء على الذي في أعلاها، فتأذَّوا به، فأخذ فأساً، فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بدَّ لي من الماء، فإن أخذوا على يديه أنجوه ونجَّوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم»[3].

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، والأربعة.

(٢) المدهن: المداهن، أي المتساهل.

(٣) رواه البخاري.

فالحديث يحذِّر من أنَّ السكوت على المنكر، وعدم تغييره، خطر عظيم، سيؤدِّي حتماً إلى تلف الجميع، وسينال الجميع ككل.

فإذا فسد الفرد، فسد المجتمع معه، والخطر نال الجميع.

(هـ) ومن هنا نرى أنَّ الإسلام يحض على اللحاق بالجماعة، ويحذِّر من الانفراد، والشذوذ بقوله ﷺ: «يد الله مع الجماعة، ومن شذّ، شذّ في النار»[١].

لذلك شرع الصلاة في جماعة كل يوم خمس مرات، وصلاة الجمعة، والعيدين. وقد ذكرنا ذلك في «الخصائص الإسلامية»[٢].

(و) وتظهر كذلك روح الجماعة جليَّة في الآداب والأخلاق الإسلامية. وقد ذكرنا ذلك في «الخصائص الإسلامية»[٣].

* بما ذكرنا يتَّضح جليّاً كيف أنَّ الإسلام قام

---

(١) رواه الترمذي، وصحَّحه السيوطي.

(٢) انظر ص ١٢٠ وما بعدها.

(٣) انظر ص ٤٤ وما بعدها، ص ٥١ وما بعدها.

بالتوازن بين الفردية، والجماعية، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

٧ـ التوازن بين الروحية، والمادية

لقد وُجد من بين الأُمم جماعات وأفراد كلّ همّهم، ومنتهى رغباتهم، وشغلهم الشاغل في هذه الحياة، هو إشباع الجانب المادي في الإنسان، دون أن يلتفتوا إلى جوانب أُخرى هامة للإنسان في حياته ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾(١)، ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٢).

لذلك طغت عليهم المادة، وتكالبوا على متاع الحياة الدنيا، فنتج عن ذلك عبادة المادة، والغرور، والاستكبار في الأرض: عند وجود النعمة. واليأس، والقنوط عند الشدَّة. وقد جاءت قصصهم في القرآن: كصاحب الجنتين، وقارون، وفرعون، وغيرهم ﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ ﴾(٣)، فاستحقوا العقاب من الله تعالى.

---

(١) الفرقان: آية ٤٤.

(٢) الأنعام: آية ٢٩.

(٣) الفجر: آية ١١.

وبالمقابل وُجد أناس، أفراداً، وجماعات نظروا إلى الدنيا نظرة بغض، واحتقار، وازدراء، فحرَّموا على أنفسهم الطيِّبات من الرِّزق، وحرَّموا على أنفسهم من زينتها، وتركوا عمارة الأرض، واستخلافهم فيها: كالبراهمة في الهند، والمانوية في فارس، والرهبانية في المسيحية ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾[1]، الذين انقطعوا عن العالم، وتفرَّغوا للعبادة فحسب.

* **أما الإسلام**، فإنه جاء يدعو إلى التوازن، والاعتدال بين الروحية، والمادية، فلا ينهمك الإنسان في الدنيا انهماكاً كلّيّاً، ويسير وراء المادة، لتستعبده، وينغمس في ملذّات الحياة الدنيا، فتهلكه، ويترك الروحية التي هو في حاجة ماسّة لها، كلما طغت عليه نفسه، واستحوذ عليه شيطانه. ولا ينقطع للروحية انقطاعاً كلّيّاً، لينسى نفسه، وما تحتاج إليه من متطلبات الحياة، فيسعى في الأرض ليعيش، وليعمرها، ويسخِّر كل ما فيها لمنفعته، ومصلحته؛ لأنه خليفة الله في أرضه، وما وجدت هذه الحياة إلاَّ من أجله: ﴿وَإِذْ قَالَ

(١) الحديد: آية ٢٧.

رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1]، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾[2].

لذا وجب عليه التوفيق بين ما يتطلَّبه الجسم، وما تطلبه الروح، فيغذِّي الجسم بمتطلباته، ويغذِّي الروح بمتطلباتها، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) البقرة: آية ٣٠.

(٢) البقرة: آية ٢٩.

(٣) القصص: آية ٧٧.

(٤) البقرة: آية ٢٠١.

الفضيلة الثالثة

اليسر، والسهولة ووضع الأغلال عنها

* من خصائص هذه الأمة، ومن فضائلها: **اليسر، والسهولة ووضع الأغلال عنها.**

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[2].

والحرج في الآية المتقدمة: الضيق، والشدة في الأوامر والنواهي.

روى معمر عن قتادة قال: «**أُعطِيَتْ** هذه الأمة ثلاثة، لم يعطهن إلاَّ نبيّ:

(١) الحج: آية ٧٨.

(٢) البقرة: آية ١٨٥.

كان يقال للنبي: اذهب، فلا حرج عليك، وقيل لهذه الأمة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

والنبي شهيد على أمته، وقيل لهذه الأمة: ﴿لِتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(١).

ويقال للنبي: سل تُعطه، وقيل لهذه الأمة: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٢)»(٣).

وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه تعالى، فقال عكرمة: هو ما أحله تعالى من النساء: ثلاث، ورباع، وما ملكت يمينك.

وقيل: المراد قصر الصلاة، والإفطار للمسافر، وصلاة الإيماء لمن لا يقدر، وحطّ الجهاد عن الأعمى والأعرج والمريض، والعديم الذي لا يجد ما ينفق، وكذلك الغريم الذي عليه دَين، ومن له والدان(٤).

* والذي أراه أنَّ الآية أعمّ وأشمل، فبالإضافة إلى ما سبق:

---

(١) البقرة: آية ١٤٣.

(٢) غافر: آية ٦٠.

(٣) انظر: القرطبي ١٢/ ١٠٠.

(٤) انظر: القرطبي ١٢/ ١٠٠.

ـ جواز الصلاة في كل مكان في الأرض عكس الأمم السابقة التي لا تقبل منها الصلاة إلاَّ في الصوامع، والكنائس، والبيَع.

ـ وإحلال الغنائم لهذه الأمة.

ـ ومنها إذا أكل، أو شرب ناسياً، كان صومه مقبولاً.

ـ ورفع الخطأ، والنسيان، وما استكره الإنسان عليه؛ لقوله ﷺ: «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه»[1].

ـ ومن ذلك أنَّ الله لا يؤاخذهم على اللمم.

ـ ومن ذلك درء الحدود بالشبهات.

ـ ومن ذلك أنَّ الإنسان لا يكلف أكثر من طاقته.

ـ ومن ذلك سكوته عن أشياء لم يتعرض لها بالحل والحرمة في قوله تعالى: ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾[2].

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) المائدة: آية ١٠١، وانظر مؤلفنا: «من الآداب والأخلاق الإسلامية».

ـ ووضع عنهم الإِصر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل؛ وكانت التوبة من الذنوب لا تقبل من أحدهم، إلاَّ بقتل نفسه.

* وهو ما رجَّحه الشوكاني قال: (والظاهر أنَّ الآية أعم).

يؤيِّد ذلك عموم قوله ﷺ: «يَسِّروا ولا تعسروا، وبشِّروا، ولا تنفروا»[1].

وقوله: «لن يشاد الدين أحد إلاَّ غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة، والروحة، وشيء من الدلجة»[2].

وقال: «لا تشدِّدوا على أنفسكم، يشدِّد الله عليكم، فإنَّ قوماً شدَّدوا على أنفسهم، فشدَّد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع، والديار، رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»[3].

ويقول ﷺ: «إنَّ خير دينكم أيسره»[4].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه البخاري، والدلجة: آخر الليل.

(٣) رواه أبو داود.

(٤) رواه أحمد.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلاَّ اختار أيسرهما، ما لم يكن إثماً، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط؛ إلاَّ أن تُنتهك حرمة الله، فينتقم لله»[1].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت أصلِّي مع النبي ﷺ، فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً»[2]، أي: بين الطول والقصر.

* وضع عنها الإصر: (الشدة، والثقل) والأغلال التي كانت على مَن قبلهم: ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[3].

قال مجاهد، وقتادة، وابن جبير: الثقل.

وقال ابن عباس، والضحاك، والحسن: الإصر: العهد.

والآية كما قال القرطبي جمعت المعنَيين، فإنَّ بني إسرائيل قد كان أُخِذَ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الأعراف: آية ١٥٧.

ثقال، فوضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد. ووضع عنهم ذلك الثقل: كغسل البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض، ومؤاكلتها، ومضاجعتها إذا حاضت. وكان بنو إسرائيل يقرضون الثوب الذي أصابته نجاسة. وروي: جِلْد أحدهم. وإذا جمعوا الغنائم تأتي نار من السماء، فتحرقه. وإذا حاضت المرأة، لم يقربوها، إلى غير ذلك ممّا ثبت في الحديث[1].



---

(١) انظر: القرطبي ٧/ ٣٠٠.

المبحث الثاني

فضائل أخرى
اختصت بها في هذه الدنيا

١ ـ خصَّهم الله بالإسلام، وسمَّاهم المسلمين.

٢ ـ أكمل لهم الدِّين، وأتمَّ عليهم النِّعمة.

٣ ـ جُعلت صفوفهم كصفوف الملائكة في الصلاة.

٤ ـ اختصَّت بصلاة الجمعة، وساعتها، وصلاة العشاء.

٥، ٦ ـ أُحِلَّت لها الغنائم، وجُعِلَت لها الأرض مسجداً، وطهوراً.

٧ ـ خصَّهم بشهر رمضان، وليلة القدر.

٨ ـ هذه الأُمَّة شهداء الله في أرضه.

٩ ـ صلاة المسيح خلف إمامهم.

١٠ ـ مَثَلُها في الكتب السماوية السابقة.

١١ ـ لن تهلك هذه الأُمَّة بجوع.

١٢ ـ تؤمن بجميع الكتب السماوية، والأنبياء والرسل.

١٣ ـ حفظها الله من التنقيص في حق خالقها.

١٤ ـ لا تزال طائفة من الأُمَّة ظاهرين على الحق.

١٥ ـ خصَّهم الله بفضيلة الوضوء.

١٦ ـ لا يؤاخذهم الله بالخطأ والنسيان، والإكراه، وحديث النفس.

١٧ ـ فرضت عليهم الصلوات خمساً، ولها أجر خمسين.

١ـ خصّهم الله تعالى بالإسلام وسمّاهم المسلمين

من خصائص هذه الأمة: الإسلام، وهو مأخوذ من السِّلم، وهو (الأمان) وسمَّاهم المسلمين في القرآن الكريم، وفي الكتب السماوية الأخرى، قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾[1].

وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[2].

وعن الحارث الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «... ومن دعا بدعوى الجاهلية، فهو من جثاء جهنم»،

---

(١) الحج: آية ٧٨.

(٢) المائدة: آية ٣.

قالوا: يا رسول الله، وإن صلَّى وصام؟ قال: «وإن صلَّى وصام، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم، بما سمَّاهم الله عزَّ وجلّ: المسلمين، المؤمنين، عباد الله عزَّ وجلّ»[1].

والإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[2].

وقال ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه، أو يمجِّسانه»[3].

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه أحمد، والترمذي، وابن خزيمة، والحاكم، وابن حبان، وصحَّحوه.

(٢) الروم: آية ٣٠.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده، والطبراني والبيهقي، وصحَّحه السيوطي. انظر كتابنا: «الخصائص الإسلامية».

٢ـ أكمل لهم الدّين، وأتم عليهم نعمته

أمة الإسلام، هي الأمة الوحيدة التي أكمل الله لها دينها من دون الأمم من قبل، وأتم عليها النعمة، فلا تحتاج إلى شيء من التشريع بعده.

روى الأئمة عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرأونها، لو علينا أُنزلت معشر اليهود لاتَّخذنا ذلك اليوم عيداً، قال: وأي آية؟ قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1].

فقال عمر: (إني لأعلم اليوم الذي أُنزِلَت فيه، والمكان الذي أُنزِلَت فيه، نزلت على رسول الله ﷺ

(١) المائدة: آية ٣.

بعرفة في يوم جمعة)[1].

ورُوي أنها لما نزلت في يوم الحج الأكبر، وقرأها رسول الله ﷺ، بكى عمر رضي الله عنه، فقال له رسول الله ﷺ: «ما يُبكيك؟»، فقال: أبكاني أنَّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كَمُل، فإنه لم يكمل شيء إلاَّ نقص، فقال رسول الله ﷺ: «صدقت»[2].

ورُوي أنَّها نزلت يوم فتح مكة، والأول أصح، كما قال القرطبي[3].

والمناسبة التي تربط بين هذه الأمة، وكمال دينها، وتمام النعمة عليها، مناسبة فيها حكمة جليلة، وسرّ من أسرار هذا الدين العظيم التي لا تنتهي، تظهر تلك الحكمة وذلك السرّ جليّاً، وبوضوح، في أنَّ دينها هو آخر الأديان، وشريعتها هي خاتمة الشرائع، فليس بعده دين يظهر، ولا شريعة تُسَنّ إلى يوم القيامة.

لذا استحقَّت هذه الأمة ذلك الكمال، وإتمام

---

(١) رواه الأئمة، انظر: القرطبي ٦/ ٦١.

(٢) انظر: القرطبي ٦/ ٦١.

(٣) انظر: القرطبي ٦/ ٦١.

النعمـة عليهـا، وسُمِّيـت شـريعتهـا الشـريعـة الخـالـدة، لا تتغيَّر، ولا تتبدَّل أبد الدهر، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.



٣ـ جُعِلَت صفوفهم في الصلاة، كصفوف الملائكة

ممَّا فضَّل الله به هذه الأمة في هذه الدنيا؛ أن جعل صفوفهم كصفوف الملائكة، فقد جاء في الحديث الذي رواه حذيفة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فُضِّلنا على الناس بثلاث: جُعِلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجُعِلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجُعِلت تربتها لنا طهوراً، إذا لم نجد الماء، وأعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش، لم يعطها نبي قبلي» الحديث[١].

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فقال: «ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها؟»، قلنا: يا رسول الله، وكيف تُصَفُّ الملائكة عند ربها؟ قال: «يُتِمُّون الصفوف الأُولى، ويتراصُّون في الصفوف»[٢].



(١) رواه مسلم، وأحمد، والنسائي.

(٢) رواه مسلم.

٤ ـ فُضِّلَت هذه الأُمَّة بيوم الجمعة، وساعتها، وصلاة العشاء

أما صلاة الجمعة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلِق آدم، وفيه أُدخِل الجنة، وفيه أُخْرِج منها، ولا تقوم الساعة إلاَّ يوم الجمعة»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في يوم الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً، إلاَّ أعطاه إيَّاه»(٢).

وقال ﷺ: «إنَّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلِق آدم، وفيه قُبِض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة،

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليّ»، قالوا: يا رسول الله، وكيف تُعرض عليك وقد أرمتَ؟ قال: «إنَّ الله حرَّم على الأرض أجساد الأنبياء»(١).

وقال ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلاَّ وقاه الله فتنة القبر»(٢).

أما صلاة العشاء:

فإنها كذلك من فضائل الأمة، ومن خصائصها، فقد ثبت في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: مكثنا ذات ليلة ننتظر رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فخرج إلينا حين ذهب ثلث الليل ـ أو بعده ـ فلا ندري أشيء شغله أهله، أو غير ذلك، فقال حين خرج: «إنكم تنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم...»(٣).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: أعْتَمَ

---

(١) رواه أبو داود، وابن ماجه، والنسائي، والبيهقي.

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) متفق عليه.

النبي ﷺ بالصلاة حتى ابهَارَّ[1] الليل، ثم خرج رسول الله ﷺ فصلَّى بهم، فلما قضى صلاته قال لمن حضره: «على رسلكم، أُعْلِمُكم، وأبشروا، إنَّ من نعمة الله عليكم: أنه ليس من أحد يصلِّي هذه الساعة غيركم»[2].

وفي رواية عن معاذ رضي الله عنه أنه ﷺ قال: «أعتموا بهذه الصلاة، فإنكم قد فُضِّلتم بها على سائر الأمم، ولم تصلِّها أمة قبلكم»[3].

وقد روى ابن ماجه في سننه عن أنس رضي الله عنه، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «من صلَّى في جماعة أربعين ليلة، لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء، كتب الله له بها عتقاً من النار»[4].

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلَّى العشاء في

---

(١) ابهارّ: انتصف.

(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود.

(٤) رواه ابن ماجه.

جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلَّى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله»[1].

وروى الدارقطني في سننه عن كعب رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من توضَّأ، وصلَّى العشاء الآخرة، وصلَّى بعدها أربع ركعات فأتمَّ ركوعهن، وسجودهن، ويعلم ما يقترىء فيهن، كن له بمنزلة ليلة القدر»[2].



(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الدارقطني.

٥ـ أُحلَّت لها الغنائم

وممَّا خصَّ الله هذه الأمة وفضَّلهم به أن أحلَّ لهم الغنائم، وقد كانت محرمة على من قبلهم من الذين أُمِروا بالجهاد، فإذا كانت مقبولة عند الله، تنزل نار من السماء فتحرقها.

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي... وأُحِلَّت لي الغنائم ولم تُحِلَّ لأحد من قبلي...»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لم تحلّ الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم،

(١) الأنفال: آية ٦٩.

(٢) متفق عليه.

كانت تنزل نار من السماء فتأكلها. . . »[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «. . . فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا»[2].

❑ ❑ ❑

(١) رواه الترمذي وصحَّحه، وأحمد.

(٢) رواه الشيخان.

٦ـ الأرض مسجد وطهور للمصلّي

ممَّا خصَّ هذه الأمة وفضَّلها به أن جعل الأرض كلها مسجداً وطهوراً.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما: «... وجعلت لي الأرض مساجداً وطهوراً، أينما أدركتني الصلاة، تمسَّحت، وصلَّيت، وكان مَنْ قبلي يعظمون ذلك، إنما يصلون في كنائسهم، وبيَعهم»[١].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «ولم يكن من الأنبياء أحد يصلِّي حتى يبلغ محرابه»[٢].

وجاء في حديث جابر المتقدم: «... وجعلت لي

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه البزار.

الأرض طيبة، وطهوراً، ومسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة صلَّى حيث كان»[1].

❑ ❑ ❑

(١) متفق عليه.

٧ـ شهر رمضان، وليلة القدر

* ممَّا فضَّل الله به هذه الأمة في هذه الدنيا، هو أن خصَّها الله تعالى بشهر رمضان، وليلة القدر، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ﴾[3].

* وقد اختلف العلماء في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾[4].

---

(١) البقرة: آية ١٨٥.

(٢) القدر: آيات ١ ـ ٣.

(٣) الدخان: آية ٣.

(٤) البقرة: آية ١٨٣.

فقيل: التشبيه راجع إلى وقت الصوم، وقدر الصوم، فإن الله كتب على قوم موسى، وقوم عيسى صوم رمضان، فغيَّروا، وبدَّلوا، وزاد أحبارهم عليهم عشرة أيام، ثم مرض بعض أحبارهم، فنذر إن شفاه الله أن يزيد عشرة أيام، ففعل، فصار صوم النصارى خمسين يوماً، فصعب عليهم في الحرّ، فنقلوه إلى الربيع (الشمسي)، وهو قول الشعبي، وقتادة، واختيار النحاس.

وقيل: كتب الله عزَّ وجلّ صوم شهر رمضان على كل أمة، وهو قول مجاهد.

وقيل: التشبيه راجع إلى أصل وجوبه، لا في الوقت والكيفية.

وقال معاذ بن جبل، وعطاء: التشبيه واقع على الصوم، وعلى الصفة، وعلى العدة، وإن اختلف الصيامان بالزيادة والنقصان: أي كتب عليكم الصيام ثلاثة أيام من كل شهر، ويوم عاشوراء، كما كتب على اليهود، وكان ذلك في أول الإِسلام، ثم نسخ بصيام شهر رمضان في هذه الأمة. وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما.

وهذا ما نختاره: على أنَّ صيام شهر رمضان من

فضائل هذه الأمة، ومن خصائصها.

* ومما يقوي هذا القول، ويؤيِّده: قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾[3]، أنزله الله إلى سماء الدنيا دفعة واحدة في ليلة القدر، ثم أنزله منجماً على رسول الله ﷺ حسب الوقائع.

* وممَّا يؤيِّد ذلك أيضاً: ما رواه مالك في الموطأ من رواية ابن القاسم وغيره: سمعت من أثق به يقول: «إنَّ رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار الأمم قبله، فكأنه تقاصر أعمار أمته ألَّا يبلُغُوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر، وجعلها خيراً من ألف شهر»[4].

* فإذا كانت ليلة القدر من اختصاص هذه الأمة،

---

(١) البقرة: آية ١٨٥.

(٢) القدر: آية ١.

(٣) الدخان: آية ٣.

(٤) رواه مالك في الموطأ.

ومن فضائلها، والقرآن الكريم هو قرآن هذه الأمة، وقد أنزل في ليلة القدر. إذن، فشهر رمضان من فضائل هذه الأمة، ومن خصائصها.

ولو تتبعنا التاريخ، وقلَّبنا صفحاته على مرِّ القرون، وتتابع الأزمان؛ لما وجدنا أمة قد كرمها الخالق العظيم مثل هذا التكريم، ونالها فضل مثل هذا التفضيل من الخير العميم، والعطاء الجزيل.

* إن كان هناك تفضيل بين بني البشر، فإنَّ محمداً ﷺ سيِّد البشر على الإطلاق: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»[1].

* وإن كان هناك تفضيل بين الرسل، فإنَّ محمداً ﷺ سيد الأنبياء على الإطلاق؛ لأنه خاتم الأنبياء والمرسلين ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[2].

* وإن كان هناك تفضيل في الأزمنة، فإنَّ أفضل القرون: القرون الثلاثة الأُول، وهي في هذه الأمَّة؛ لقوله ﷺ: «خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم

---

(١) رواه مسلم، وأبو داود.

(٢) سبأ: آية ٢٨.

الذين يلونهم»[1].

* وإن كان هناك تفضيل بين الأشهر، فإنَّ شهر رمضان سيِّد الشهور على الإطلاق، وهو خاص بهذه الأمة.

* وإن كان هناك تفضيل بين الليالي، فإنَّ ليلة القدر سيِّدة الليالي على الإطلاق، وهي خاصة بهذه الأمة.

* وإن كان هناك تفضيل بين الأيام، فإنَّ يوم الجمعة هو سيِّد الأيام، وهو خاص بهذه الأمة.

* وإن كان هناك تفضيل بين الساعات، فإنَّ ساعة يوم الجمعة أفضل الساعات، وهي خاصة بهذه الأمة.

* وإن كان هناك تفضيل بين الأمكنة، فإنَّ الكعبة أفضل الأمكنة على الإطلاق، وهي خاصة بهذه الأمة.

* وإن كان هناك تفضيل بين المياه، فإنَّ ماء زمزم أفضل المياه على الإطلاق، وهو خاص بهذه الأمة.

---

(١) رواه أبو داود، والحاكم.

* وإن كان هناك تفضيل بين الأمم، فإنَّ أمَّة محمد ﷺ هي أفضل الأمم على الإطلاق.

كل هذه الأفضلية موجودة في أمَّة محمد ﷺ، وهذه الفضائل لا توجد في أيّ دين من الأديان، والله يختصّ من يشاء بما يشاء، فله الحكم، وله الأمر كله، وله التدبير: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[1].

❑ ❑ ❑

(١) البقرة: آية ١٠٥.

٨ـ هذه الأمة شهداء الله في أرضه

وممَّا خصَّ الله به هذه الأمة، وفضَّلها به: شهادتها على الناس بالخير، أو بالشرّ، فهي مقبولة عند الله.

فعن أنس رضي الله عنه قال: مرُّوا بجنازة، فأثنوا عليها خيراً، فقال النبي ﷺ: «وجبت». ومرُّوا بأخرى، فأثنوا عليها شرّاً، فقال: «وجبت»، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما وجبت؟ قال: «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنتيم عليه شرّاً فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في أرضه»[١].

وعند النسائي: «... الملائكة شهداء الله في السماء، وأنتم شهداء الله في الأرض».



(١) رواه النسائي.

٩ـ صلاة المسيح خلف إمامهم

تواترت الأخبار بأنَّ المسيح عليه السلام حين ينزل في آخر الزمان، ويقتل الدجال، يصلِّي خلف إمام المسلمين.

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أُمَّتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل المسيح ابن مريم عليه السلام، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمَّة»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[(٢)].



(١) رواه مسلم. وأميرهم المهدي عليه السلام حينذاك.

(٢) متفق عليه.

١٠ـ مَثَلُها في الكتب السماوية السابقة

وممَّا فضَّل به تعالى هذه الأمة، وخصَّها:

أن ذكرهم في الكتب السماوية السابقة بما يعرفون به، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩﴾[1].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «إنَّ الله عزَّ وجلّ يقول: يا عيسى، إنِّي باعث من بعدك أمة، إن أصابهم ما يحبُّون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا،

(١) الفتح: آية ٢٩.

ولا حلم ولا علم. قال: يا رب، كيف هذا لهم ولا حلم ولا علم؟ قال: أعطيهم من حلمي وعلمي»[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) رواه أحمد، والطبراني في الكبير برجال الصحيح.

١١ـ لن تهلك هذه الأمة بجوع ولا يسلط عليها عدوّ من غيرها

فعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل، فركع فيه ركعتين وصلَّينا معه، ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة، سألت ربي ألاَّ يهلك أُمَّتي بالسَّنَة، فأعطانيها، وسألته ألاَّ يهلك أُمَّتي بالغرق، فأعطانيها، وسألته ألاَّ يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها»(١).

وعن خباب بن الأرت رضي الله عنه: أنه راقب رسول الله ﷺ الليلة كلها، حتى كان مع الفجر، فلما سلَّم رسول الله ﷺ من صلاته جاءه خباب فقال:

---

(١) رواه مسلم.

يا رسول الله، بأبـي أنت وأُمِّي، لقد صلَّيت الليلة صلاة ما رأيتك صلَّيت نحوها.

فقال رسول الله ﷺ: «أجل، إنها صلاة رغب، ورهب، سألت الله عزَّ وجلّ فيها ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربـي عزَّ وجلّ أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم قبلنا ــ وعند الترمذي: أن لا يهلك أُمَّتي بسنة ــ فأعطانيها، وسألت ربـي عزَّ وجلّ أن لا يُظهر علينا عدوًّا من غيرنا، فأعطانيها، وسألت ربـي أن لا يُلبسنا شيعاً، فمنعنيها»[1].



(١) رواه الترمذي وصحَّحه، والنسائي. وانظر كتابنا: «الابتلاء، والصبر عليه».

١٢ـ تؤمن بجميع الأنبياء والكتب المنزلة

قال الله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾[1].

ومن أركان الإيمان: (أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله).

❑ ❑ ❑

---

(١) البقرة: آية ٢٨٥.

١٣ـ حفظها الله من التنقيص في حق الخالق العظيم

إنَّ الأمم السابقة، قد طغوا، وأساءوا في حق الخالق وتطاولوا عليه، وخرجوا عن حدودهم، فادَّعوا أنَّ لله أولاداً وزوجة، وشريكاً، وقالوا: إنَّ الله فقير، وأنَّ يديه مغلولتان!! تعالى اللّـٰهُ عن ذلك علوّاً كبيراً.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾[1].

---

(١) المائدة: آية ١٨.

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾(1).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾(2).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾(3).

وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾(4).

* **أما عقيدة المسلمين، فهي:** ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ

---

(1) المائدة: آية ٦٤.

(2) آل عمران: آيتان ١٨١، ١٨٢.

(3) المائدة: آية ١٧.

(4) المائدة: آية ٧٣.

يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[1]، و ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[2].

❑ ❑ ❑

(١) الإخلاص: آية ١ ــ ٤.

(٢) الشورى: آية ١١.

١٤ـ لا تزال طائفة من هذه الأُمّة ظاهرين على الحـقّ

ممَّا خصَّ الله تعالى به هذه الأمة، وفضَّلها به أنَّ منها طائفة لا تزال قائمة على الحق، حتى يقاتل آخرها الدجال، وإلى قيام الساعة.

قال ﷺ: «لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله، وهم كذلك»(١).



(١) متفق عليه.

١٥ـ خصّهم الله بفضيلة الوضوء

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[١].

ومَن لم يتوضّأ لصلاته فصلاته باطلة، لا تُقبل منه، فهو مجبر على النظافة في اليوم والليلة بما لا يقل عن خمس مرّات.



(١) المائدة: آية ٥.

١٦ـ لا يؤاخذ الله هذه الأُمَّة بالخطأ والنسيان، والإكراه وما تحدّث به النفس

هذه فضيلة من الفضائل التي تكرَّم المولى على أُمَّة محمَّد ﷺ، وهي أنه تعالى لا يؤاخذ أُمَّة محمَّد بالخطأ، والنسيان، والإكراه، وما تحدِّث به النفس.

فعن أبي ذرّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الله تجاوز لي عن أُمَّتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تجاوز لِأُمَّتي عمَّا حدَّثت به أنفسها، ما لم تتكلَّم به، أو تعمل به»(٢).



---

(١) رواه الطبراني، والحاكم، وصححه السيوطي.

(٢) رواه البخاري، ومسلم، والأربعة.

١٧ـ فرضت عليهم الصلوات خمساً، ولها أجر خمسين

فرضت الصلاة على أمة محمد ﷺ ليلة الإسراء، وقد فرضت في أول الأمر خمسين صلاة في اليوم والليلة، ثم نُقِصَت شيئاً فشيئاً حتى وصلت إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، بأجر خمسين صلاة.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه بقوله: (فُرضت على النبي ﷺ الصلوات ليلة أسري به خمسين، ثم نُقصت حتى جعلت خمساً، ثم نودي: يا محمد إنه لا يبدَّل القول لدي، وإن لك بهذه الخمس خمسين)(١).

وهذه الفضيلة، لم تكن لأمة من الأمم السابقة

(١) رواه أحمد، والنسائي، والترمذي، والأصل في الصحيحين.

بحيث تعطى من الأجر أكثر مما تعمل بأضعاف كثيرة.

ولم يقف الأمر على ذلك، بل إنها تزيد الدرجات وتكفِّر السيئات.

ففي زيادة الدرجات قوله ﷺ: «صلاة الجمع تزيد على صلاته في بيته وصلاة في سوقه، خمساً وعشرين درجة، فإن أحدكم إذا توضأ، فأحسن الوضوء، وأتى إلى المسجد، لا يريد إلَّا الصلاة، لم يخطُ خطوة، إلَّا رفعه الله بها درجة، أو حطّ عنه خطيئة، حتى يدخل المسجد، وإذا دخل المسجد، كان في صلاةٍ ما كانت الصلاة تحبسه، وتصلي عليه الملائكة ما دام في مجلسه الذي يصلي فيه: اللَّهمَّ اغفر له، اللَّهمَّ ارحمه، ما لم يُحْدِث»[1].

وفي تكفير السيئات: قوله ﷺ: «ما من امرىء مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيُحْسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلَّا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب، ما لم تؤتَ كبيرة، وذلك الدهر كله»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

وقال ﷺ: «مثل الصلوات الخمس، كمثل نهر عَذْبٍ غَمْرٍ بباب أحدكم يقحم فيه كل يوم خمس مرات، فما ترون ذلك، يبقى من درنه شيء؟»، قالوا: لا! لا شيء! قال: «فإن الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدَّرَن»[1].



---

(١) رواه مسلم.

المبحث الثالث

فيما اختصت به من فضائل يوم القيامة

١ ــ شهداء على الأُمم يوم القيامة .

٢ ــ هم أوَّل مَن يجتاز الصِّراط يوم القيامة .

٣ ــ هم أوَّل مَن يدخل الجنة .

٤ ــ يدخلون مِن الباب الأيمن .

٥ ــ يأتون غرّاً محجلين يوم القيامة .

٦ ــ هم أكثر أهل الجنة .

٧ ــ يفديها ربها بغيرها من الأمم .

٨ ــ زيادة الثواب مع قلَّة العمل .

٩ ــ سيرضي الله نبيّه في أُمَّته .

١٠ــ كثرة الشفاعة في أُمَّته .

١١ــ كلها تدخل الجنة .

١٢ــ لها علامة تعرف بها ربها عزَّ وجلّ .

١٣ــ تمنِّي الكفار لو كانوا مسلمين ؛ لما يرونه من فضائل .

١٤ــ فيها مَن رزقهم الله فضل الشهادة غير شهيد المعركة .

١ ـ شهداء على الأمم يوم القيامة

أي يشهدون يوم القيامة على الأمم قبلهم بأنَّ رسلهم قد بلَّغوهم الرسالة، وهم الصالحون منهم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١].

وقد أخرج البخاري، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم. فيُدعى قومه، فيقال لهم: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد. فيقال لنوح: مَن يشهد لك؟ فيقول: محمد، وأمته».

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: «أنا وأمَّتي

---

(١) البقرة: آية ١٤٣.

يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق، ما من النَّاس أحد إلاَّ ودَّ أنه منّا، وما من نبـي كذَّبه قومه إلاَّ ونحن نشهد أنه بلَّغ رسالة ربّه»[1].



---

(١) انظر: فتح القدير ١/ ١٥٢.

٢ـ هم أول من يجتاز الصِّراط يوم القيامة

وممَّا فضَّل الله تعالى به هذه الأمة، وخصَّهم به يوم القيامة، أنَّهم أول من يجتاز الصِّراط مع نبيّها ﷺ كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «... ويضرب الصِّراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأُمَّتي أول من يجيز...»(١).

وجاء في حديث ثوبان رضي الله عنه في قصة سؤال حَبْر اليهود، وفيه: «فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر»، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: «فقراء المهاجرين»(٢).



---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

٣ ـ هم أوَّل مَن يدخل الجنة

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأوَّلون يوم القيامة، ونحن أوَّل من يدخل الجنة»[١].

وعن حذيفة، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «الجنة حُرِّمت على الأنبياء حتى أدخلها، وحُرِّمت على الأمم حتى تدخلها أمتي»[٢].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة، قامت ثُلَّة من الناس يسدون الأُفق، نورهم كالشمس، فيقال: النبيّ الأُمِّيّ، فيتحشحش لها كل نبي، فيقال: محمد وأُمَّته. ثم تقوم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه الطبراني بإسناد حسن.

ثُلَّة أُخرى تسد ما بين الأُفق نورهم مثل كل كوكب في السماء، فيقال: النبيّ الأُمِّيّ، فيتحشحش لها كل نبي، ثم يحثي حثيتين، فيقال: هذا لك يا محمَّد، وهذا منِّي لك يا محمَّد، ثم يوضع الميزان، ويؤخذ في الحساب»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أوَّل زمرة تدخل الجنة من أُمَّتي على صورة القمر ليلة البدر»[2].

❏ ❏ ❏

---

(١) رواه الطبراني، قال في مجمع الزوائد: رجاله ثقات.

(٢) متفق عليه.

٤ ـ تدخل من الباب الأيمن للجنة

وممَّا فضَّلها الباري سبحانه، وخصَّها به: أنَّ الذين لا حساب عليهم من هذه الأمة، يدخلون من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس في بقية الأبواب.

فقد جاء في حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أوَّله قوله ﷺ: «أنا سيِّد الناس يوم القيامة...»، إلى أن قال ﷺ: «... فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليّ، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد من قبلي، ثم يقال: يا محمَّد، ارفع رأسك، سل تعطه، إشفع تُشَفَّع، فأرفع رأسي، فأقول: يا ربّ، أُمَّتي، أُمَّتي، فيقال: يا محمَّد، أَدخِل الجنة مِن أُمَّتك مَن لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب»[1].

❑ ❑ ❑

---

(١) متفق عليه.

٥ ـ تأتي هذه الأُمّة غُرّا محجّلين من الوضوء

وممَّا خصَّ الله به هذه الأمة يوم القيامة أنهم يأتون غُرًّا محجَّلين من أثر الوضوء، وهذه خاصيّة لم تكن لأمة من الأمم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ أُمَّتي يأتون يوم القيامة غُرًّا محجَّلين من أثر الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غُرّته، فليفعل»[١].

وفي رواية لمسلم: «قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم... وتردُون عليَّ غُرًّا محجَّلين من أثر الوضوء».

---

(١) متفق عليه. **والغرة**: ما زاد على فرض الوجه من أطراف الناصية، والأذن.

والتحجيل: غسل ما فوق الفرض من اليد، والرجل.

وفي رواية: «. . . وددت أنّا قد رأينا إخواننا»، قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد»، فقالوا: كيف تعرف من لم يأتِ بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أنَّ رجلاً له خيل غُرٌّ محجلة بين ظهري خيلٍ دُهمٍ بُهْمٍ، ألا يعرف خيله؟. . قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فإنهم يأتون غرّاً محجلين من الوضوء. . .».



٦ـ هم أكثر أهل الجنة

وممَّا فضَّل به هذه الأمة، وخصَّها به دون غيرها من الأمم، أنها ستكون أكثر الأمم الذين يدخلون الجنة.

فقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فأسند ظهره على قبة أُدْم، فقال: «ألا لا يدخلن الجنة إلاَّ نفس مسلمة، اللَّـٰهُمَّ هل بلَّغت؟ اللَّـٰهُمَّ اشهد، أتحبُّون أنكم ربع أهل الجنة؟»، قالوا: نعم يا رسول الله! قال: «أتحبُّون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟»، قالوا: نعم يا رسول الله! قال: «إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، ما أنتم في سواكم من الأمم إلاَّ كالشعرة السوداء في الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود»[١].

وجاء في حديث بُريدة ما يزيد على الشطر، فعن

---

(١) متفق عليه.

بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف: ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم»(١).



(١) أخرجه الترمذي وحسَّنه، وابن ماجه، والحاكم وابن حبان وصحَّحاه.

٧ـ يفديها الله تعالى بغيرها من الأُمم

فقد جاء في حديث أبـي موسى رضي الله عنه قال: قـال رسـول الله ﷺ: «إذا كـان يـوم القيـامـة، دفـع الله عزَّ وجلّ إلى كل مسلم يهوديّاً، أو نصرانيّاً، فيقول: هذا فكاكك من النار»(١).



---

(١) رواه مسلم.

٨ـ زيادة الثواب مع قلة العمل

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «إنما أجلكم ــ في أجل من خلا من الأمم ــ ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم، ومثل اليهود، والنصارى، كرجل استعمل عمّالاً فقال: مَن يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس قيراطين قيراطين؟

ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين! ألا لكم الأجر

مـرَّتيـن. فغضبـت اليهـود والنصـارى، فقـالـوا: نحـن أكثـر عمـلاً، وأقـل عطـاء! قـال الله: هـل ظلمتكـم مـن حقّكـم شيئـاً؟ قـالـوا: لا! قـال: فـإنـه فضلـي أعطيـه مَن شئت»[1].



(١) رواه البخاري.

٩ ـ سيرضي الله نبيّه في أُمّته

وممّا خصّ به هذه الأمة، أنَّ الله تعالى سيرضي نبيّه ﷺ فيها، وأنه لا يسوؤه، وهذا من فضله وكرمه عليهم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ تلا قوله تعالى في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾[1]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[2]، فرفع يديه وقال: اللّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي، وبكى، فقال الله عزَّ وجلّ: يا جبريل، اذهب إلى محمّد ــ وربك أعلم ــ فسله: ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه

(١) إبراهيم: آية ٣٦.

(٢) المائدة: آية ١١٨.

السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ ، فقال الله: يا جبريل، اذهب إلى محمد فقل: «إنا سنرضيك في أُمَّتك، ولا نسوؤك»[1].

وفي الحديث لمّا نزلت هذه الآية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾[2]، قال رسول الله ﷺ: «إذاً والله لا أرضى، وواحد من أُمَّتي في النَّار»[3].

❑ ❑ ❑

(١) رواه مسلم.

(٢) الضحى: آية ٥.

(٣) انظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٩٦.

١٠ـ كثرة الشفاعة في أُمَّته

وممَّا أكرم به نبيّه وأُمَّته وفضَّلها به: كثرة الشفاعة فيها؛ فيشفع بعضهم لبعض، في عدد كثير من الناس.

فعن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهط بإيليا، فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أُمَّتي أكثر من بني تميم»، قيل: يا رسول الله، سواك؟ قال: «سواي»، فلمّا قام قلت: مَن هذا؟ قالوا: ابن أبي الجدعاء»[١].

وعن الحارث بن أقيش رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِن أُمَّتي مَن يدخل الجنة بشفاعته أكثر من مضر»[٢].

---

(١) رواه الترمذي وصحَّحه، وابن ماجه، وابن حبان، والحاكم.

(٢) رواه الحاكم وصحَّحه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيين: ربيعة ومضر، فقال رجل: يا رسول الله، أَوَمَا ربيعة من مضر؟ قال: إنما أقول ما أقول»[1].



(١) رواه أحمد، والطبراني.

١١ـ كلها تدخل الجنة

وممَّا خصَّهم الله وفضَّلهم أنهم كلهم يدخلون الجنة؛ لأنَّ منهم مَن يدخل الجنة بغير حساب، ومنهم مَن يحاسب حساباً يسيراً، ثم يدخلها، ومنهم مَن يدخلون الجنة بالشفاعة وبرحمته سبحانه بعد أن يحطّ عنهم من الذنوب. أما الأمم الأخرى فمنهم مَن هو في الجنة، ومنهم مَن هو في النار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أُمَّتي يدخلون الجنة إلاَّ مَن أبى»، قالوا: يا رسول الله، ومَن يأبى؟ قال: مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى»(١).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه ــ وقد سأله خالد بن يزيد بن معاوية عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه ابن حبان، والطبراني برجال الصحيح.

فقـــال: سمعـــت رســـول الله ﷺ يقــول: «ألا كلكـــم يــدخــل الجنــة، إلاَّ مــن شــرد علـــى الله شــراد البعيــر على أهله»[1].



(١) رواه أحمد، والحاكم، والطبراني.

١٢ـ لها علامة تعرف بها ربها عزَّ وجلّ

وممَّا خصَّ الله هذه الأمة: أن جعل لها علامة تعرف بها ربها عزَّ وجلّ.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟...» الحديث.

وفيه: «ثم ينادي منادٍ: ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل إلٰه مع آلهتهم... حتى يبقى مَن كان يعبد الله من برّ، وفاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم، وقد ذهب الناس؟ فيقولون:

---

(١) القلم: آية ٤٢.

فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، وإنا سمعنا منادٍ ينادي: ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإننا ننتظر ربّنا... فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة...»(١).



---

(١) متفق عليه. هذا اللفظ لمسلم، انظر: شرح مسلم للنووي بهامش البخاري ٢/ ١١٩، وانظر: فتح الباري ١٣/ ٣٦٣.

١٣ـ تمنّي الكفار لو كانوا مسلمين لما يرونه من فضائل

وممَّا خصَّ الله تعالى به هذه الأمة وفضَّلها به: أنَّ الكفار إذا رأوا ذلك الفضل، وتلك الميزة، تمنوا أن لو كانوا مسلمين، فينالوا ما نالته من ذلك التفضيل والتكريم. قال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ۝٢﴾[1].



---

(١) الحجر: آية ١، ٢. انظر: القرطبي ٢/ ١٠.

١٤ـ مَن رزقهم الله فضل الشهادة من هذه الأمّة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تعدُّون الشهداء فيكم؟»، قالوا: يا رسول الله، مَن قُتِل في سبيل الله فهو شهيد، قال: «إن شهداء أمتي إذاً لقليل!»، قالوا: فمن يا رسول الله؟ قال: «مَن قُتِل في سبيل الله فهو شهيد، ومَن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومَن مات في الطاعون فهو شهيد، ومَن مات في البطن فهو شهيد، والغريق شهيد»[١].

وعن أبي الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن فضيل رضي الله عنه أحد المبشَّرين بالجنة رضي الله عنهم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَن قُتِل دون ماله فهو شهيد، ومَن قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومَن قُتِل دون دينه

---

(١) رواه مسلم.

فهو شهيد، ومَن قُتِل دون أهله فهو شهيد»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»[٢].

وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «مَن سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه»[٣].

وقد أخرج مالك، وأبو داود، والنسائي، وابن حبان عن جابر بن عتيك، وفيه: ما تعدُّون الشهيد فيكم؟ قالوا: مَن يُقْتَل في سبيل الله، فذكر زيادة على حديث أبي هريرة: الحريق، وصاحب ذات الجنب، والمرأة تموت (بجمْع) بضم الجيم، وسكون، وقد تُفتح الجيم، وتُكسر، وهي (النفساء).

---

(١) رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) متفق عليه. المطعون: مَن مات بالطاعون، والمبطون: مَن مات بمرض البطن.

(٣) رواه مسلم.

قال ابن حجر في فتح الباري: «والذي يظهر أنه ﷺ أعلم بالأقل، ثم أعلم زيادة على ذلك، فذكرها في وقت آخر، ولم يقصد الحصر في شيء من ذلك»، ثم قال: «وقد اجتمع لنا من الطرق الجيدة أكثر من عشرين خصلة».

قال ابن التين: هذه كلها ميتات فيها شدة، تفضَّل الله على أُمَّة محمد ﷺ بأن جعلها تمحيصاً لذنوبهم، وزيادة في أجورهم، يبلغهم بها مراتب الشهداء.

قال ابن حجر: والذي يظهر أنَّ المذكورين ليسوا سواء في المرتبة، ويتحصَّل ممَّا ذُكِر أنَّ الشهداء قسمان: شهيد الدنيا، وهو من يُقْتَل في حرب الكفار مقبلاً غير مدبر، مخلِصاً. وشهيد الآخرة، وهم الذين ذُكِروا في الحديث، بمعنى: أنهم يعطون من جنس أجر الشهداء، ولا تُجرى عليهم أحكامهم في الدنيا»[1].

* * *

(١) انظر: فتح الباري ٦/ ٣٤.

* **والهـدف ممَّـا ذكر مـن فضائل،** هو حضّ هذه الأمـة على الاستقامة، والمداومـة على طاعة الله تعالى، ومن ثَم الوصول إلى الغاية، وهي رضا الله تعالى عنهم وجنّته.



الخَاتِمَة

وبعد، فهذه بعض الفضائل التي تفضَّل بها الخالق الكريم على أُمَّة الإِسلام في الدنيا والآخرة، وخصَّها بها دون غيرها من الأُمم السابقة.

فهل أدركت هذه الأمة مقدار ذلك التفضيل، وذلك التكريم؟! وحافظت على تلك النعم التي أنعم بها الكريم عليها، وقامت بواجبها المنوط بها تجاه خالقها العظيم، وتجاه دينه، وتجاه أُمَّتهم، وتجاه العالم أجمع بالدعوة الجادَّة إلى دينه في كل بقاع الأرض حقّ القيام، وشكرته حقَّ شكره بالقول والعمل، وحمدته حق الحمد على ما أنعم به من فضائل جمّة، وخصَّها بخصائص عديدة، لم تكن في أمة من الأمم السابقة ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[1]؟

---

(١) النحل: آية ١٨.

أو أنهم ما زالوا في دوَّامات وتيارات ما يأتيهم من الشرق والغرب من أفكار هدّامة، ومبادىء هزيلة سامة، وحضارة خواء؟!!

إنها لعمري فضائل، وخصائص تستحق كل تقدير للخالق، وتستحق كل احترام للعظيم، والمُنعم الكريم، وجديرة بالحمد والشكر في كل زمان ومكان، وفي كل أوان: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧ ﴾[1].

صدق الله العظيم

وصلَّى الله وسلَّم على سيِّد المرسلين، وآله، وصحبه، ومَن سار في ركابهم إلى يوم الدِّين.



(١) إبراهيم: آية ٧.

الفهرس

المبحث الثاني

فضائل أخرى اختصت بها في هذه الدنيا

المبحث الثالث

فيما اختصت به يوم القيامة

❑ ❑ ❑

كتب للمؤلف

١ ـ من الآداب والأخلاق الإسلامية. (مطبوع)

٢ ـ موقف الشريعة من المصارف الإسلامية
المعاصرة (دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى،
من الأزهر). (مطبوع)

٣ ـ الذبائح في الشريعة الإسلامية
رسالة ماجستير (بامتياز) (مطبوع)

٤ ـ المباح من الحيوان، وشروط أهل الذبيحة. (مطبوع)

٥ ـ ذبائح أهل الكتاب، وشروط حلها. (مطبوع)

٦ ـ حكم الصيد، وشروطه، وآدابه. (مطبوع)

٧ ـ المحرم من الحيوان، وبيان الحكمة
من ذلك التحريم. (مطبوع)

٨ ـ حكم الأضحية، والهدي، والحكمة
من ذلك. (مطبوع)

٩ ـ العقيقة، وحكمها، والحكمة
من مشروعيتها. (مطبوع)

١٠ ــ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه (القسم الأول).   (مطبوع)

١١ ــ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه (القسم الثاني).   (مطبوع)

١٢ ــ العلم الحديث حجة للإنسان أم عليه (القسم الثالث).   (مطبوع)

١٣ ــ أخطاء لغوية معاصرة.   (مطبوع)

١٤ ــ مقالات وردود علمية.   (مطبوع)

١٥ ــ مقالات أدبية اجتماعية.   (مطبوع)

١٦ ــ الواقع التاريخي للمسلمين.   (مطبوع)

١٧ ــ السبيل المرشد إلى بداية المجتهد ونهاية المقتصد (أربعة مجلدات).   (مطبوع)

١٨ ــ تقديم طاعة على أخرى أو تركها نظراً للزمان والمكان والأحوال.   (مطبوع)

١٩ ــ الأدعية والأذكار الواردة في المناسبات.   (مطبوع)

٢٠ ــ الابتلاء والصبر عليه ومكانته من الإيمان.   (مطبوع)

٢١ ــ الرحمة وشموليتها في الإسلام.   (مطبوع)

٢٢ ــ المرأة ومكانتها في الإسلام.   (مطبوع)

٢٣ ــ آداب الزواج والمعاشرة.   (مطبوع)

٢٤ ــ المسؤولية في الإسلام.   (مطبوع)

٢٥ ـ الخصائص الإسلامية وما توحي إليه من أهداف وتحقق من غايات. (مطبوع)

٢٦ ـ واقع المسلمين اليوم. (مطبوع)

٢٧ ـ الوصايا الخالدة والنصائح النافعة. (مخطوط)

٢٨ ـ فضائل الأمة الإسلامية في الدنيا والآخرة. (مطبوع)

٢٩ ـ السلام في الإسلام، وآداب الجلوس، وبيان الحكمة من التشريع. (مطبوع)

٣٠ ـ صلاة الجماعة، وبيان الحكمة من التشريع. (مخطوط)

* * *

كتب تالية:

* دليل المصلِّي.
* دليل المزكِّي.
* دليل الصائم.
* دليل الحاج.
* دليل المسلم.
* أهداف كل سورة.

● ● ●

هَٰذَا الكِتَابُ

أتناول في بعض الفضائل التي خصَّ الله بها أمة الإسلام، في الدنيا والآخرة، وانفردت بها دون غيرها من الأمم.

وإذا كان الرسول ﷺ هو سيِّد الخلق، وأفضلهم في الدنيا والآخرة، فإنّ أمّته هي كذلك سيِّدة الأمم، وأفضلها في الدنيا والآخرة.

وتتضح هذه السيادة، وهذه الأفضلية بما ورد في كثير من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وبما هو واقع ومشاهد، ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل: ١٨].

فهل أدركت هذه الأمة ــ اليوم ــ مقدار هذا الفضل وهذا التكريم؟ وهل حافظت على تلك النعم، فقامت بواجبها المنوط بها تجاه ربها الخالق العظيم، وتجاه العالم أجمع بالدعوة الجادَّة؟

إنها لعمري فضائل، وخصائص تستحق كل تقدير واحترام وطاعة للخالق العظيم، والمنعم الكريم، وجديرة بالحمد والشكر في كل زمان ومكان، ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وبالله التوفيق، وهو المستعان.

المؤلف